خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٠/١٠/٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

۞۞۞۞۞

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّـــاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّـــذِينَ أَنْعَمْـــتَ عَلَـــيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِـــي الْـــأَرْضِ وَلا فَـــسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْـــفَ كَـــانَ عَاقِبَـــةُ الْمُفْسِدِينَ﴾

الآيتان اللتان تلوتهما آنفًا أحدهما من سورة القصص ورقمها ٨٤، والأخـــرى من سورة النمل ورقمها ١٥، وإليكم ترجمتهما.

يوجد في الدنيا كثير من الأمور الحسنة والسيئة مثل الصلاح والشر، والتواضع والكبرياء، والسلام والحب والفتنة والفساد، والطاعة والعصيان وغيرها. وبعض هذه الخصال تهدي إلى الرحمن وتخبرنا بعلامات عباده المعتصمين به، وبعضها تبين لنا علامات الذين يقعون في حضن الشيطان. فهذه الأمور تشير إلى جهتين متعارضتين، فالشيطان يصدّنا عن الحسنات التي أمرنا الله بها، ويحثّنا على السيئات التي نهانا الله عنها. وهذا العصيان من جِبِلّة الشيطان كما أخبرنا الله تعالى في قوله ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصيًا﴾(مريم:٤٥)، والذين يتبعون الشيطان يحل بهم عقاب الله حتمًا.

إن هاتين الآيتين تتحدثان عن صنفين من الناس: قوم يتجنبون الكبر والفساد وهم عباد الرحمن، وقوم آخرون يرتكبون الظلم ويعيثون الفساد متكبرين وهم عباد الشيطان، ولذلك يَلقَون مصيرًا سيئًا وفق سنة الله مع عباده. ومن سوء حظ بلدنا الذي يشكّل المسلمون فيه الأكثرية –أقول بلدنا لأن كثيرا من الأحمديين الباكستانيين جالسون أمامي الآن كما يستمع كثير منهم لخطبتي في مختلف أنحاء العالم– أقول من سوء حظ بلدنا أنه قد صار رهينةً في أيدي قوم لا يعملون مطلقًا بما أمرنا الله به من حسنات، ويرتكبون علانيةً ما نهانا الله عنه من منكرات. لقد ركب هؤلاء القوم رؤوسَ الساسة اليوم، كما ضيّقوا الخناق على الموظفين الحكوميين راكبين أعناقهم، ولذلك ترون هناك كل يوم حريقًا وفسادًا وقتلاً وسفكًا للدماء، بل يجب أن أقول إن الفساد قد استشرى في النظام كله من ساسة وموظفين وغيرهم. كان خلفاء الأحمدية ولا يزالون ينبهون الساسة والعامة، منذ تأسيس باكستان، أن يأخذوا الحذر كله من تلك

الفئة من المشايخ الذين يريدون دفع البلاد إلى التطرف الديني بأي شكل كان. أما العامة فظلوا يقعون في خداع هؤلاء المتطرفين بسبب جهلهم وبراءتهم وحبهم للإسلام، كما أن الفقر والبؤس أيضًا لم يَدَعْهم يفكّرون في الأمر حيث إن الأكثرية منهم فقراء. أما الساسة فيعقدون المعاهدات مع هؤلاء المتنكرين بعباءة الدين لمصالحهم الشخصية أو يعطونهم حرية مطلقة ظانين أنهم لن ينجحوا في سياستهم بدون مساعدتهم، فكل حزب سياسي يرى أن لا بقاء له إلا بمساعدة أحد من هؤلاء المتنكرين بعباءة الدين. لقد أعطى السياسيون هؤلاء أهميةً زائدة للمحتكرين للدين في زعمهم وهم يعلمون، مما أدى إلى انتشار الفوضى وقانون الغاب في البلاد، وصارت الأحوال تزداد من سيئ إلى أسوأ. فالموظفون المدنيون أصبحوا بلا قوة ولا حيلة، بل قد ساءت الأحوال لدرجة أن "قوات الحرس الجوّالين" التي كانت تُعتبر بالغة الأهمية لتوطيد الأمن في البلاد، بل إن قوات الجيش الباكستاني أيضًا قد أصبحت بلا حول ولا قوة أمام هؤلاء الإرهابيين والمنظمات المتطرفة بسبب ما عندها من أسلحة متطورة. وفي ظل هذه الظروف الحرجة يصاب قلب المسلم الأحمدي بقلق شديد بأن البلد الذي قد حصلنا عليه بتضحية آلاف الأرواح قد دمّره أصحاب المآرب الشخصية والمصالح الذاتية والذين يرتكبون باستمرار أبشع الفظائع والمجازر باسم الإسلام وباسم الله تعالى. وفيما يتعلق بالأسباب المادية فلا شك أن المسلم الأحمدي لا يستطيع –رغم جهوده– فِعْلَ شيء لإنقاذ بلده من براثن هؤلاء الظالمين، ولكن حب الوطن يحتّم على كل أحمدي أن يدعو لبلده ويسعى لإنقاذه بأي طريق. فمهما اتّهمَنا أهلُ وطننا –وبالأحرى هؤلاء

المتشددون الذين هم في زعمهم أكثرُ وفاء وولاء بباكستان- بالخيانة بالوطن، ومهما صبّوا علينا من ظلم وجور، إلا أننا سنظل ندعو الله تعالى لوطننا، لأن هذا هو مقتضى حبنا للوطن. والحق أنه إذا كان هناك شيء يمكن أن ينقذ هذا البلدن من هذا الوضع الخطير فإنما هو أدعية المسلمين الأحمديين. ففيما يتعلق بالجبهة الخارجية فإن العالم يضيق الخناق على باكستان باستمرار، أما الجبهة الداخلية فإن هؤلاء الإرهابيين يُضعِفون باكستان أكثرَ فأكثر بإثارة الفتن والفساد ونشر الإرهاب وتدمير الممتلكات والموارد القومية بإضرام النيران فيها. أي حب للوطن هذا الذي نراه في تصرفات هذه المنظمات الإرهابية! لا شك أن الأحمديين اليوم هم أكثرُ عرضةً للظلم في باكستان، حيث تُهضم حقوقنا من كل نوع، ولم يبق علاقة لنا ولا دخل في سياسة البلد وحكمه. إن هؤلاء الماديين يظنون مِن جراء غبائهم وأوهامهم أن الأحمديين جماعة منظمة جدًا فلعلهم يستولون على حكم البلد في يوم من الأيام. والحق أننا لا نتطلع أبدًا إلى الوصول إلى الحُكم والسلطة لا في باكستان ولا في أي بلد آخر، غير أن كل أحمدي –أيًا كان بلده- يكنّ لبلده الحب والولاء كونَه مواطنًا له، ويتمنى أن يرى بلده أبرز بلد في العالم كله، وإنه لا يتمنى هذا فقط بل يسعى لذلك جاهدًا، ويدعو الله تعالى لذلك، ويجب أن يفعل هكذا. كما أنه يساهم في سياسة بلده بصفته الفردية مرتبطًا بأحد الأحزاب السياسية. هناك دول كثيرة يساهم فيها الأحمديون في رقي بلادهم وتقدّمها من خلال انضمامهم إلى الحزب الحاكم أو الحزب المعارض. فكل أحمدي يمكن أن يساهم بشكل فردي في سياسة بلده، بل يساهم فيها فعلاً، بل يجب أن يساهم فيها من أجل

تقدم بلده وازدهاره لأنه مواطن فيه، أما الجماعة الأحمدية أو الخلافة الأحمدية فلا ترغب أبدًا أبدًا كجماعة في الاستيلاء على حكم أي بلد، كما ليس هذا هدفنا مطلقًا، لأن ما علّمناه العاشقُ الصادق لرسول الله ﷺ لا يستهدف ملكًا ماديًا إنما هدفنا الحصول على المُلك الروحاني وتاجِ الرضوان الإلهي. غير أنه كلما احتاجت أية حكومة إلى مشورتنا أو تضحياتنا من أجل رقي البلد وبقائه فإن جماعتنا قد لبّت نداءها وتلبّيه دومًا. فكلما وجدنا بلدنا في أزمة أو رأينا أهل بلدنا في شدة أُصبنا بالقلق الشديد رغم كل ما يصبّ علينا بشكل جماعي أو فردي من اضطهاد بكل أنواعه. إننا لا نصاب بالقلق من أجل الاستيلاء على الحكم وإنما من أجل بقاء بلدنا وأهل وطننا، بل نسعى جاهدين لإنقاذه من المحن والأزمات بكل ما أوتينا من وسائل بما فيها الدعاية له في العالم. ولا نقوم بذلك إلا عملاً بتعاليم سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وتأسيًا بأسوته الحسنة التي أمرنا الله تعالى أن نحذو بها قائلا: هذا هو رسولي الحبيب (ﷺ) وقد فرضنا عليكم الاقتداء بقدوته. والأسوة التي تركها لنا الرسول ﷺ الذي جاء محسنًا إلى الإنسانية ورحمةً للعالمين إنما هي أن يخدم المرء الإنسانية ناسيًا آلامه وهمومه، لا طمعًا في أجر بل بمشاعر الإحسان والحب ومشاعر إيتاء ذي القربى، أي معتبرًا أهل وطنه أقاربه، وواضعًا في البال أن كل ذي فطرة طيبة يتألم حتى من أجل الغريب، فكيف لا أتألم لآلام ومصائب هؤلاء وهم بمثابة أقاربي. فنحن قوم لا علاقة لنا بالفساد والعلوّ في الأرض، إنما ننشر الحب والتواضع، ونؤمن بذلك النبي الذي كان يصاب بالاضطراب الشديد برؤية بُعْد الناس عن الله تعالى مخافة أن يقعوا تحت بطش الله تعالى، والذي كان

يشرف على الموت من شدة البكاء في جوف الليالي بأن الناس قد نسوا الله تعالى وكادوا يسقطون في هوة الدمار، والذي قال الله له برؤية تألمه للناس: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾.. أي لعلك تهلك نفسك لأن الناس لا يؤمنون.

فنحن قوم نشفق على الذين ينتمون إلى أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ونتألم بسبب آلامهم، وندعو الله تعالى أن يفهموا رسالته ﷺ فيؤمنوا بالمسيح والمهدي عليه السلام، وينجوا من الآفات والعذاب في هذه الدنيا وكذلك من بطشه في الآخرة أيضًا.

منذ عدة سنوات مضت لا أبرح أنبّه الناس في خطبي للجمعة وخطاباتي الأخرى في شتى المناسبات أن الزلازل والآفات وأنواع الطوفان قد ازدادت واشتدت في مئة السنة الماضية، وهذا دليل على تأييد مَن بعثه الله تعالى إلى الدنيا في هذا العصر، ذلك لأن المسيح الموعود عليه السلام قد قال صراحةً: إن الله سبحانه وتعالى أخبرني أن الزلازل والطوافين ستحدث تأييدا لي، فحدثتْ في حياته عليه السلام وبعد وفاته، وإلى هذا اليوم تستمر سلسلة التأييد الإلهي هذه، وإن ذكر الأضرار التي أصابت باكستان نتيجة هذه الآفات والكوارث كما تصيب سائر بلاد العالم حيثما تحدث لغني عن البيان، بل إن أضرار الفيضانات الحالية في باكستان – حسب تقرير رئيس منظمة الأمم المتحدة الذي أعدَّه بعد زيارته إلى هناك – تفوق أضرار تسونامي أضعافا مضاعفة. وكل مسلم أحمدي يعرف جيدا أن هذه الكوارث الأرضية والسماوية في العالم تحدث تأييدا لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام، ليتَ أهل الدنيا أيضا يفقهون ذلك. إن أنواع

العذاب التي تظهر في العالم تُسبب لنا اضطرابا وقلقا أيضا أنه إذا لم تفهم الدنيا الإشارات الإلهية فقد يحدث دمار أكبر، وبسبب هذا الاضطراب نتوجه مرة أخرى إلى ربنا الذي خلقَنا وإلهنا الذي يبعث أحباءه لإصلاح الخلق ويرسل رسله لخلاص العالم.

هناك ضجة في الجرائد ووسائل الإعلام الأخرى في باكستان حول ما يحدث في باكستان: أهو عذاب إلهي أم ماذا؟ ويقول مشايخهم الدينيون أنه لا يمكن أن تعتبر هذه الفيضاناتُ عذابا إلهيا لأن العذاب الإلهي يأتي بعد بعثة الأنبياء.

لكن بالله عليكم اسمعوا حديثنا أيضا واصغوا إلى حديث المسيح الموعود عليه السلام، فرسالة المسيح الموعود عليه السلام تنبِّهكم من مائة عام مضى، فكل آفة تنـــزل في الدنيا تُقْلقنا أنها قد تكون مؤشرا لكارثة أكبر.

أما السؤال عن خدمة الأحمديين للمواطنين المنكوبين في الآفات والكوارث فنحن كما قلنا نقدم كل مساعدة ممكنة للمتضررين، ففي هذه النكبة الحالية التي أصابت باكستان في صورة الفيضانات المدمرة قدمت الجماعة الإسلامية الأحمدية مساعدتها للسفارات الباكستانية في مختلف بلاد العالم على مستوى فردي وجماعي أيضا، كما قدّم الأحمديون الأثرياء مساعدتهم داخل باكستان شخصيا أيضا وهذه المساعدة في صورة نقود وأغراض وأمتعة. بالإضافة إلى خدمات الأحمديين المتطوعين في نقل المنكوبين إلى مكان آمنٍ وتأمينِ الطعام لهم. وقد تقابلَ رئيسُ مؤسسة إيدهي الخيرية الكبيرة في باكستان مع فِرقَنا الإسعافيةَ، فقال: لقد لاحظتُ أن القاديانيين هم سباقون في الوصول إلى المناطق المنكوبة قبل الجميع. فلم يُخرج الأحمديون من المناطق المنكوبة

المتضررين الأحمديين فقط، بل قد أخرجوا غير الأحمديين أيضا دون أي تمييز في الدين أو الفرقة أو العقيدة.

ثم قد قدمت المنظمة الإسلامية الأحمدية الخيرية HUMANITY FIRST أي "الإنسانية أولا" مساعدةً كبيرة وما زالت تستمر، فقد جمعتْ الآن مليون دولار إضافي للإعمار وترميم البيوت والأبنية المدمرة في المناطق المنكوبة، وقدّمنا ولا نزال نقدّم هذه الخدمات دون أي تمييز في الدين، وعند تقديم هذه المساعدة لا نخبر أحدا أننا أحمديون درءًا للفتنة، فقد يثير الفتّان فتنة فيقول أنه لا يجوز لقادياني أن يساعد مسلما، فيُحرَم الفقراء من المساعدة لذا نساعد بصمت.

أما سلوك هؤلاء الذين يزعمون أنهم حماة الإسلام وممثلوه، فحين اقتربتِ المياه من بعض المناطق النائية لمحافظة ديرة غازي خان فقد لجأت بعض العائلات الأحمدية من هناك إلى مبنى مدرسة، وعندما عرف هؤلاء المشايخ أنهم أحمديون قالوا لا يُسمح لهؤلاء القاديانيين السكنُ هنا فطردوهم من هناك ناهيك عن تقديم الطعام لهم بوصفهم مشردين، بل كان نظام الجماعة قد أمَّن لهم الطعام، وحتى السكن والطعام هُيئ لكل أحمدي من قبل الجماعة بفضل الله فالجماعة لا تترك أحدا عديم السند، بل الواقع أن الله ﷻ لا يترك أي أحمدي عديم الحيلة ومخذولا، فقد هُيئ الطعام والسكن لأولئك الأحمديين. غير أن الفطرة السيئة لهؤلاء الذين يدّعون أنهم ممثلو الإسلام ظهرت للعيان، حيث أظهروا ولا يزالون سوءَ الفطرة باسم الله ونبيه ﷺ.

من الملاحظ أن هذه الطوفانات والآفات ظهرت بعد الهجوم الوحشي على مسجدَينا في لاهور حيث سُفكت دماءُ الأحمديين الأبرياء بهمجية، وإذا لاحظْنا هذه الأمور في هذه الخلفية فسلوك الأحمديين السامي يتبين بجلاء أكثر حيث تقدمت الجماعة الإسلامية الأحمدية رغم تعرضهم لهذه الاعتداءات الدامية لمساعدة المواطنين المنكوبين، وتتعاظم تضحياتُ الأحمديين قدرًا حين نلاحظ أن سكان المنطقة غيرَ الأحمديين أرسلوا الحلويات إلى بيوت بعض الشهداء قبل أن تُحمل جثثُهم للدفن احتفالا بقتلهم ليسخروا بذويهم، فأي إفلاس أخلاقي وديني أكبر من هذا الذي ظهر من هؤلاء بتحريض المشايخ؟ فقد أفلسوا تماما. ثم بعض أولاد الحيِّ يقولون في حق الأولاد الأحمديين أنهم سيرمونهم في البالوعة فهم يجدرون بذاك المكان، وهو مكانهم اللائق، مما اضطرت بعض العائلات للانتقال إلى أحياء أخرى.

فسيرة الأحمدي قد تجلتْ بشأن أرفع في هذه الأوضاع وأرى بريقه، فالجماعة في مثل هذه الظروف القاسية قد ساعدتِ الجميعَ ووصلتْ إلى الجميع لتقديم المعونة حيث قدّمت الطعام والأدوية لمساعدة المتضررين وساهمت في أعمال البناء بغض النظر عن إساءات هؤلاء واعتداءاتهم عليهم في الماضي، فهذه هي الصورة الحقيقية للإسلام التي تَعْرضها الجماعة الإسلامية الأحمدية اليوم، وهذا هو إظهارٌ للتأسي بأسوة الرسول ﷺ. فشعار الجماعة الإسلامية الأحمدية امتثالٌ لأمر إمامهم "رُدّوا السباب بالدعاء والأذى بالراحة"، فسوف تستمر في ذلك ابتغاء مرضاة الله ﷻ. فسيرة الجماعة الأحمدية هذه في الأوضاع المعادية لا تنحصر في باكستان فقط بل حيثما تواجه الجماعة الظلمَ والاعتداء

في أي منطقة في العالم فإنها تتمسك بهذه الأخلاق النبيلة والسامية، ففي الآونة الأخيرة قد أشعل الأعداء المتطرفون في إندونيسيا النار في بيوت خمسة أو ستة أحمديين كما أحرقوا بعض سياراتهم ودراجاتهم النارية أيضا، لكن الجماعة هناك أيضا قدمت المساعدة للمواطنين المتضررين عندما جاء الطوفان. غير أن المسلمين المثقفين في إندونيسيا يتحلون بنبل وجرأة حيث استنكر كثيرون من رجال السياسة والزعماء الكبار أعمالَ حرق البيوت والمساجد، بل قد ذهبتْ زوجةُ الرئيسِ الإندونيسي السابق السيد عبدِ الواحد المحترم إلى بيوت الأحمديين الذين تعرضوا لخسائر وقدّمت المؤاساة. ليت الساسة الباكستانيين يفتحون عيونهم ويعرفوا القيم السياسية والأخلاقية. على كل حال فالأحمدي يسعى في العالم لتخليص العالم من الهلاك ولا بد أن نستمر في بذل المساعي لذلك بتبليغ رسالة إمام الزمان والتركيز على الدعاء أيضا. وليس بوسع أي ظالم في العالم أن ينـــزع منا هذه الأخلاق بممارسة أي أنواع الظلم، فسوف تثمر أدعيتُنا إن شاء الله فيباد الظالم والظلم من على وجه الأرض، يجب أن نداوم على الدعاء أن يطهِّر الله ﷻ كل إنسان وكل بلد في العالم من الظلم والظالمين، فلا يجدر بنا أن نقاتل من أجل الحقوق بإثارة الفتن والفساد، فنحن نتعرض للظلم من أجل الدين إذ ليس ثمة أي سبب آخر، وقد نهانا إمام الزمان من الخوض في الحروب من أجل الدين، وإنما سلاحنا الوحيد العظيم الذي ننتصر به بإذن الله هو الدعاء، وإن هدفنا الحقيقي هو الفوز برضوان الله ﷻ ولنيل هذا الهدف نُحرز الحسنات. ولا نلجأ إلى الفتن والفساد والعلو في الأرض لأن الله ﷻ يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا

فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ (القصص ٨٤) فحين نعلن أننا من أولئك الذين عدَّهم الله ﷻ في الموقنين بالآخرة فكيف لنا أن نلجأ إلى أي نوع من العلو والفساد ونأخذ القانون بأيدينا ونرفض خدمة الإنسانية ونسعى لإهانة الآخرين؟ إن ذلك يناقض التقوى، فإنما التقوى غايةٌ وحيدة للمؤمن وينبغي أن يكون كذلك، لأن الله ﷻ قد وعد: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي العاقبة الحسنة للمتقين لا للمفسدين، فهذا ما آمَن به أتْباع جميع الديانات عند تعرُّضهم لهجمات الأعداء ومظالمهم واعتداءاتهم، وقد أتى عليهم فتراتٌ من الزمن حيث ظنوا أنهم كادوا يهلكون، فحين يطول الابتلاء أحيانا يخطر ببال بعضهم أنه يجب أن نلجأ نحن أيضا إلى مكائد أهل الدنيا، غير أنه ليس من سيرة الجماعات الإلهية قط.

بعض الأحمديين يكتبون إلي في رسائلهم أنه لا ينبغي الصبر لهذا الحد، فأقول لهم كلا! لأن الفساد والقتال – كما قلت – ليس من أهدافنا، فحين آمنّا بإمام الزمان فلا بد من الامتثال لأوامره حرفيا. والمعلوم أن أصحاب الطبائع السليمة لا يستطيعون أن يقوموا بالمكائد والمكر السيئ أصلا، لذا لو حاولنا أن نفعل ذلك لما استطعنا ذلك، لأن هذا لا ينسجم مع طبيعتنا.

هناك بعض الناس يسكنون في مناطق مجاورة لربوة *(مركز الجماعة في باكستان)* وقد سكنوها بعد تقسيم الهند ويُدعون مهاجرين، وهم معروفون بالتصرفات السيئة والأعمال العبثية مثل السرقة والنهب لذا كنا نضطر أن نأخذ الحيطة والحذر جيدا فيما يتعلق بحماية مدينة ربوة منهم. ففي إحدى المرات ذكر أحدهم أثناء الحديث العابر تلك الأعمال السيئة التي يرتكبونها

مثل النهب والسرقة والمساوئ الأخرى، فقال باللغة البنجابية ما مفاده: حيث ينتهي تفكير شخص ذكي منكم من هناك يبدأ تخطيط أجهل شخص منا. وكان يقصد من هذا الكلام أنهم بارعون في الأمور المذكورة إلى حد كبير. لذا أقول: نحن لا نستطيع بشكل من الأشكال أن نقوم بالفتنة والفساد، فلا نستطيع أن نبارز حتى الأغبياء منهم في هذا المجال.

ولكن هناك بعض منهم ينضمون إلى الجماعة ويبدو أن هناك تغيُّرا طيبا حادث فيهم أيضا بسبب تأثير تعليم المسيح الموعود فيهم. والذين كانوا بارعين منهم في الأمور المذكورة أعلاه قد تحسنوا كثيرا بعد انضمامهم إلى الجماعة.

ثانيا إننا نؤمن بالله الذي وعدنا قائلا: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ وهذا يعني أيضا بأننا سوف نمتثل أمام الله تعالى يوما من الأيام، وعندها لن تنفع المكائد والمكر السيئ والخديعة بل سوف نُسأل عن تقوانا وورعنا، لأن التقوى هو الذي يصل إلى الله تعالى. كما يقول تعالى: ﴿يناله التقوى منكم﴾ وبالتقدم في مدارج التقوى سوف ننال مغفرة من الله تعالى، ندعوا الله تعالى أن يزيدنا في هذا المجال.

والمعنى الآخر والواضح للتقوى هو أن نجاح الجماعات الربانية وانتصارها لا يتأتى نتيجة الخديعة والشطارة والمكائد والفتنة والفساد والخصام، ولا بالزهو والتباهي وإظهار العُلّو بل يأتي بالتواضع والانكسار. فالذين يحاولون السلوك على سبل رضا الله في كل الأحوال هم الذين سيشاهدون مشاهد الفتح والانتصار في نهاية المطاف بإذن الله. فإن هذا الاضطهاد والفساد والتمرد مؤقّتٌ وسيبلغ أجله المقدر سريعا بإذن الله. لقد كان في الدنيا فراعنة كبارا

وكان في الدنيا الظالمون والغاشمون إلى أقصى الحدود، وجاء أقوياء كبارٌ ولكن مُحيت آثارهم جميعا. والعصابة التي تتصدى للجماعات الربانية إنما يقومون بذلك مستيقنين في أنفسهم أن أصحاب تلك الجماعات يزدادون رويدا رويدا، وسيقضون على سيادتنا. فكما قلت من قبل إنهم أناس ماديون ولا يتعدى فكرهم هذا الحد، فلا يفكرون أكثر من أن الأحمديين إذا ازدادوا عددا فسوف يسيطرون على حكومتنا، مع أن الجماعات الربانية لا تهدف إلا إلى توطيد الصلة بين الله وعباده. وهذا هو الهدف السامي الذي بُعث سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا من أجله.

إن هؤلاء الناس ذوي الصفات الفرعونية الذين يُظهرون للعوام سلطتهم وقوتهم متخذينها إلهًا لهم، يخافون من أن يُقضى على ألوهيتهم المزعومة إذا صار العوام عباد الله على وجه الحقيقة.

لا شك أن الآيات التي يُظهرها الله تعالى لإثبات صدق الأنبياء تؤدي بهؤلاء القوم أيضا إلى اليقين إلى حد ما أن عباد الله سيتغلبون لا محالة لذا يزدادون لهم عداء وظلما يوما إثر يوم ويحاولون أن يقضوا عليهم بكل طريق. ففي بعض الأحيان توضع العراقيل في سبيلهم بنعت عباد الله بالسحرة أو بأقوال أخرى. والمتنكرون بعباءة الدين حين يرون التأييدات والآيات الإلهية في زمن المبعوث من الله وتقدم جماعته يظنون أنهم يشكلون خطرا عليهم وعلى منابرهم، فيشرعون في الظلم والاعتداء عليهم في الظاهر أيضا ويتجاوزون في ذلك كل الحدود. فيزدادون في الكذب والمكر السيئ لدرجة يفقد عامة الناس الفرق بين الصدق والكذب، ويحاولون أن يحرسوا منابرهم بسفك الدماء باسم الدين.

إذن، فإن هذه المعارضة تنبع دائما عن الخوف في قلوبهم، لأنهم يرون بوضوح أن عباد الله سيغلبون حتما. فهؤلاء الناس – سواء أكانوا أصحاب الحكومة أو المنابر – حين يرون كراسيهم ومنابرهم تنفلت من تحتهم يزدادون معارضةً للجماعة الربانية ويتنشطون في ذلك أكثر من ذي قبل ويضربون المبادئ الأخلاقية والقانونية كلها عُرض الحائط. لو لم يكونوا واثقين من نجاح المبعوث من الله لما كانت بهم حاجة ليقوموا بمعارضة منسقة إلى هذا الحد. فكلما كانت هناك معارضة منسقة كانت مؤشرا إلى يقين أصحابها بأنهم على وشك الاندثار في أية لحظة. وهذا ما يعترف به كثير من الناس في مجالسهم الخاصة ويقولون إن تأييد الله تعالى الفعلي مع الأحمديين على ما يبدو. أقول: هذه ليست قضية "على ما يبدو" بل هذه حقيقة الأمر. المعارضة المنسقة التي يخطط لها الزعماء الدينيون في باكستان أو في بلاد أخرى بالتواطؤ مع حكوماتهم تتناهى إلينا الأخبار عنهم أحيانا إذ يقولون بأنه صحيح وحق ما تحرز الجماعة من تقدم وما يقوله الأحمديون، ولو تركناها تنتشر بين الناس بسهولة ووجدت فيهم نفوذا فلا شك أنها ستؤدي إلى القضاء على سلطتنا وكراسينا، وسيُقضى على إمامة هؤلاء الأئمة المزعومين أيضا. ولكن الله تعالى قد أشار إلى عاقبة معارضي الأنبياء في قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، فقال كما لم تنقذهم فتنتهم وفسادهم وعلوّهم وظلمهم وثروتهم وقوتهم من قبل فكذلك لن تنقذ هذه الأشياء معارضي الجماعات الإلهية الذين يتجاوزون حدود الله.

فأكرر وأقول اليوم أيضا إن الذين هم مصونون أو يعدّون أنفسهم مصونين من الآفات والبلايا ليسوا في مأمن منها في الحقيقة. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾ (فاطر: ٤٤)

فهل يمكن أن ينجح الاستكبار والعلوُّ والمكر ضد مبعوث الله تعالى؟ كلا، ثم كلا. لقد أعلن الله تعالى أن سنته لن تتبدل ولن تتغير أبدا. إن قصص الأنبياء السابقين التي يسردها الله لنا لا يسردها على سبيل القصص والحكايات فقط بل لكي تعتبروا بها، وتخلقوا في قلوبكم خشية الله، ولا تكونوا من الذين يصطدمون مع المبعوثين من الله ويسطرون حكايات الظلم والوحشية، بل انتبهوا إلى قوله تعالى: ﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلا﴾. ليتهم يفهمون هذا الأمر!

ندعوا الله تعالى أن يوفقنا للإكثار من الأدعية ويستجيب أدعتينا في حق العالم كله حتى يجتنب من السقوط في هوة الهلاك. فادعوا لأنفسكم بالصبر والمثابرة دائما وكونوا من الذين يشاهدون مشاهد الفتح والنصرة الإلهية بكونكم مصداقا لقوله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

وفي الأخير أقدم لكم مقتبسا من كلام المسيح الموعود عليه السلام حيث يقول:

"من الجدير بالذكر أن الله لن يترك هذه الجماعة دون إتمام حجتها، فقد قال بنفسه: جاء نذير في الدنيا، فأنكروه أهلها وما قبلوه، ولكن الله يقبله، ويُظهر صدقه بصولٍ قويٍّ شديدٍ صول بعد صولٍ. أما الذين أنكروا أو هم مستعدون

لذلك فلهم الذلة والمهانة، إذ لم يفكروا أنه لو كان ذلك افتراء إنسان لانتهى الأمر منذ أمد بعيد لأن الله تعالى يعادي المفتري لدرجة لا يعادي أحدا في العالم. فلا يفكر هؤلاء الأغبياء هل يمكن أن توجَد هذه الاستقامة والشجاعة في كذاب؟ ولا يعرفون أن الذي يتكلم بدعم من الغيب يتميز أن كلامه يكون متحليا بالشوكة والهيبة. ويكون من الشجاعة بحيث يستعد – وحده – ليتصدى للعالم كله. انتظروا فإن الأيام قريبة بل هي على الأبواب حين يسودّ وجه العدو ويستبشر الأصدقاء. ولكن من هو صديقي؟ الذي آمن بي قبل رؤية الآيات، وضحى بنفسه ونفيسه وطارفه وتليده وكأنه رأى آلاف الآيات. فهذه هي جماعتي وأصدقائي الذين وجدوني وحيدا فنصروني، وجدوني حزينا فواسوني، وأدوا مقتضى القربى مع كونهم من غير المعارف، أدعو الله تعالى أن يرحمهم. فإذا آمن أحد بعد رؤية الآيات فما لي وله؟ وأيّ أجر سيناله؟ وأيّ إكرام سيحظى به عند الله؟ الحق أنه لم يقبلني إلا الذين رأوني بنظر دقيق واهتموا بكلامي نتيجة فراستهم، وفحصوا أمري وسمعوا كلامي، وتدبروه، فشرح الله تعالى صدورهم بسبب هذا القدر من القرائن فصاروا معي، وبقوا معي. والذين يتخلون عن مرضاتهم بُغية نيل مرضاتي ويجعلونني حَكَما في أمر التخلي عن أنفسهم أو التمسك بها، ويسلكون سبيلي ويفنون في طاعتي ويخرجون عن قوقعة نفسانيتهم. أقول متأوِّهًا إن طلاب الآيات البينة لا ينالون عند الله ألقاب الاستحسان والمراتب الجديرة بالتقدير التي سينالها الصادقون الذين عرفوا سرًّا مكنونا، وشمّوا رائحة عبد كان مستورا في رداء الله. فأي ميزة في أن يسلّم المرء على أمير حين يراه وسط جيشه في

الجاه والجلال؟ إن صاحب الكمال هو ذلك الذي يجده كالمتسولين ومع ذلك يعرفه. ولكن ليس بوسعي أن أهب أحدا هذا الذكاء والفطنة، بل هو الله وحده الوهاب. والذي يحبه ﷻ يرزقه فراسة إيمانية. فبهذه الأمور يهتدي المهتَدون، والأمور نفسها تزيد أولئك الذين في قلوبهم اعوجاج مسبقا اعوجاجا. ندعو الله تعالى أن يقوي إيماننا ويفتح عيون الناس، آمين.